سَمَاعَاتُ مُؤَلَّفَاتِ الصَّغَانِيّ اللُّغَوِيَّةِ

إعداد
الدكتور أحمد خان
مركز حماية المخطوطات العربية – باكستان

(١)

إن الإجازات التي سجّلها العلماء على المخطوطات، والسماعات المرقومة منهم على الكتب تُعَدّ من الوثائق التأريخية التي تكشف لنا عن كثير من الغوامض وتبيّن لنا كثيراً من الحقائق. وفي الحقيقة تُعَدّ هذه الوثائق مهمة بالنسبة للعلماء وسير العلم، كما هي عظيمة الفائدة في تراجم العلماء، وفي طرق التدريس وفي الكتب التي سادت في مدارسنا الإسلامية وعند العلماء البارزين، في القرون الغابرة.

وهي من جانب آخر، تعيننا على معرفة شخصية المستمع عليه، كما تشير إلى مكانته العلمية والاجتماعية في عصره. وعلاوة على ذلك فإن هذه السماعات تدل على أسماء الكتب وتمدّنا بمعلومات تعيننا في تدقيق أسماء الكتب المقروءة على العلماء، وفي الوقت نفسه تحدِّد لنا مواضع ورود القارئ والسمَع عليه بمكان واحد، وفي وقت واحد وتوضح لنا عدة أمور أخرى تتعلق بالعلماء وطلبة العلم.

(٢)

وانطلاقاً من هذه الفوائد اخترنا اليوم بضع ساعات لتقديمها إلى القراء وهي تتعلق بمرحلة أولى بالحسن بن محمد الصَّغَانِيّ (ت ٦٥٠هـ) اللغوي الشهير بتراثه[1] وهي مهمة جداً من نواحي عديدة فإنها - مثلاً- تعيننا في تحديد أسماء كتبه وخاصة التي فقد عنَاوِيْنهَا أو طارت أوراقها الأولى – من ناحية- وأخرى تلقي ضوءاً على حياته الأخيرة التي كانت مزدحمة الأشغال، وأعماله التأليفية.

1

ونضع أمامكم مثلاً فائدة من فوائد هذه السماعات، وهي أن كتاب فَعَالِ للصغاني، له النسخة الأمّ وهي منسوخة بيد شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي (ت ٧٠٥هـ) المحدّث الشهير وتلميذ الصغاني الأخير[2] وتوجد هذه النسخة الآن في مكتبة شهيد علي باشا بتركيا. ولسوء الحظ أنها فقدت ورقتها الأولى التي تحوي عنوان الكتاب وشيئاً من مقدمته. وأما النسخة التي كانت أمام الدكتور عزة حسن إذ كان ينشر هذا الكتاب في مجمع اللغة العربية بدمشق، فكانت منسوخة من هذه النسخة الدمياطية وكان فيها الخلل نفسه فلهذا لم يهتد الدكتور عزة حسن إلى عنوان الكتاب الصحيح فاختار له عنواناً، عند عدم وجود العنوان الصحيح، من بين العناوين الواردة ضمن ترجمة الصغاني في مؤلفات التراجم- عنواناً عجيباً وغريباً على العلماء وخاصة على محبي تراث الصغاني، وأشرت إلى هذا الخطأ في نقد كتبتُه في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق قبل سنوات[3] . والأمر الذي يهمنا هنا أنه لو لم يثبت الدمياطي في أعلاه عنوان الكتاب هذا في سماعة مسجلة على الكتاب لظلّ عنوان الكتاب غلطاً أبدَ الدهر.

(٣)

واليوم نميط اللثام عن وجه غامض آخر يتعلق بالصغاني، وهو كذلك بإعانة هذه السماعات التي وجدناها مسجّلة على كتبه المسموعة عليه من الدمياطي المشار إليه مسبّقاً. وتكشف هذا الغموض أول مرة منذ أن ترجم له أول مترجم في القرن السابع الهجري وظلّ هذا الأمر غامضاً حتى شاء القدر أن يلقي شكاً في قلبي عن هذا، إذ قيّض الله لي جمع كتب الصغاني بمكان واحد.

(٤)

ومن المعلوم أن الدمياطي قد انتسخ بيده مجموعة من مؤلفات الصَّغَانِي وفي الوقت نفسه قرأها عليه، وظلت هذه المجموعة من الكتب لدى الدمياطي ولكنّها

2

بعد وفاته انفصلت- لا نعرف متى- وصارت مجموعتين ومكثتا دهراً عند العلماء ومحبي التراث. وفي النهاية وصلت واحدة منهما إلى مكتبة شهيد علي باشا بتركيا وانتهت الأخرى إلى مكتب بودليانه (Bodleian) بانجلترة.

وهاتان المجموعتان تشتملان على مؤلفات الصغاني الآتية:

أ- المجموعة الأولي التي توجد نسختها بمكتبة شهيد علي باشا:

- كتاب يَفْعُول
- كتاب الأضْدَاد
- كتاب (الشّوارِد مِنَ اللُّغَاتِ)
- كتاب نَقْعَة الصَّدْيَان (الورقة الأولى فقط)
- كتاب (فَعَلاَن) من دون ورقته الأولى
- كتاب الانْفِعَال
- كتاب (فَعَالِ) من دون ورقته الأولى

ب- المجموعة الثانية التي توجد نسختها بمكتبة بودليانة:

- كتابَ شَرْحُ السِّمْطِيَّة الصَّغَانِية
- قَصِيدَةُ في شَكْوىَ الدَّهْر
- خَمْسَ أبيَاتٍ، للصَّغَاني
- كتابُ تَرَاكِيْبِ لُغَاتِ العَرَب
- عَدَدُ آي القُرآن، للصَّغَاني
- ١١ بيتاً، لِلصَّغَانِي
- المُقْتَرِنَاتِ، للصَّغاني
- وكتب ورسائل أخرى ليست، للصغاني

ووجدنا هذه السماعات المهمة بنسبتنا على الكتب التالية، ورتبناها لغرض خاص حسب الترتيب الزمني كما قرأها الدَّمْيَاطي على مؤلفها في مدة ممتدة من شهر محرم إلى شهر شعبان سنة ٦٥٠هـ.

- **كتاب فَعَلان:** قرأه الدمياطي على مؤلفه في ٢٣ محرم.
- **قصيدة شَكْوى الدَّهْر:** قرأها الدمياطي على ناظمها في أواخر محرم.
- **كتاب يَفْعُول:** قرأه الدمياطي على مؤلفه في مستهل جمادى الآخرة.
- **كتاب نقْعَة الصُّدْيَان:** قرأه الدمياطي على مؤلفه في ٧ جمادى الآخرة.
- **كتاب فَعَالِ:** قرأه الدمياطي على مؤلفه في ١٥ جمادى الآخرة.
- **كتاب الانفِعَال:** قرأه الدمياطي على مؤلفه في ٥ رجب.

- **كتاب تراكيب لُغَاتِ العَرَب:** قرأه الدمياطي علي مؤلف في ١١ رجب.
- **كتاب الأضْداد:** قرأه الدمياطي على مؤلفه في ١٣ رجب.
- **كتاب فيه شرحُ السِّمْطِيَّة الصَّغَانِيّة (وهو شرح القلادة السمطية): قرأة** الدمياطي على مؤلفه ١٧ شعبان.

ويظهر من مواظبة الدمياطي بقراءة الكتب اللغوية على الصَّغَانِي أنه لازَمَه في هذه المدة من مكوثه ببغداد واستفاد من الصغاني استفادة طيبة.

وقبل أن نخوض في الأمور المكشوفة لنا، لا بدّ لنا أن نضع أمام القارئ هذه السماعات ليكون على بيّنه ويرى بأم عينه ما نريد أن نوضحه من غموض وما انكشف لنا من هذه السماعات:

(١)

- (ورقة أخيرة لكتاب غير كامل في نسخته الموجودة بخزانة شهيد علي باشا).
- جمع جميع هذا الكتاب (هو كتابُ فَعَلاَن) على مؤلفه شيخنا الأمام العلاّمة حجة العرب، لسان أهل الأدب، فخر الحُفّاظ، عُمْدَة المحدّثين، رضي الدين أبي الفضائل الحَسَن بن مُحَمَّد بن الحَسَن بن حَيْدَر بن علي بن إسماعيل القرَشِيّ العَدَوِيّ العُمَرِيّ الصَّغَانِيّ زادَه اللهُ على تحرّي مرضاته عوناً، وجعله من الذين يمشون على الأرض هوناً، بقراءة السيد العالم الفاضل قطب الدين أبي بكر بن أحمد بن علي بن القسطلاَنِيّ المكي الفقيه، جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبد المنعم بن عبدالله بن أحمد الكَتَّاني القَاهِري و محمد بن عبد الرحمن المكي، وعبد المؤمن بن خلف الدمياطي، وهذا خطه، في الثالث والعشرين من المُحَرّم سنة خمسين وستمئة بمنزله بالحريم غربي مدينة السلام بغداد.
- صحيح ذلك، وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالي الحَسَنُ بن محمد بن الحسن الصَّغَانِي، مسح الله بابه وأحضره شريف بابه، حامداً مصلياً.

(٢)

- قَصِيْدَة فِي شَكْوَي الدَّهْرِ، نظمُ شَيْخِنا الأمام العلاّمة رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد الصَّغَانِيّ.
- سمعتُ هذه القصيدة من لفظ مُنْشِئها شيخنا وسيدنا الإمام العلاّمة وحيد دهره، فريد عصره، حجة العرب، لسان الأدب، رضي الدين، معتمد الملوك والسلاطين، أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني عافاه الله وشفاه وصانه من الأسقام وحماه، في أواخر محّرم سنة خمسين وستمئة. مِسمع قطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن علي بن القسطلاني المكي. والجمالُ محمد بن عبد المنعم المصري، وذلك، بالحريم الطاهري غربي مدينة السلام بغداد، حرسها الله.
- وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي، عفا الله عنه.
- صحيح ذلك، وكتب الصغانِيُّ حامداً ومصلياً.

(٣)

- كتابُ يَفْعُول، تأليف الشيخ عّلامة الوقت، فريد العصر، حجة العرب، لسان الأدب، رضي الدين أبي الفضائل الحَسَن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي بن إسماعيل الصَّغَانِيّ
- قرأتُ جميع هذا الكتاب معارضاً بالأصل على مؤلفه الشيخ الإمام العلاّمة، فريد عصره، وحيد دهره، لسان العرب، حجة أهل الأدب، فخر المُحدّثين والحفّاظ، فارس المعاني والألفاظ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن القرشي العدوي الصَّغَانِيّ، رفع الله قدرَه ونشر ذكره، في مستهل جمادى الآخرة سنة خمسين وستمئة بالحريم الطاهري من بغداد.
- وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي.

- صحيح ذلك، وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى الحَسَنُ بْنُ محمد بن الحسن الصَّغَانِيُّ، أعاده اللهُ إلى حرمه بفضل رحمته وكرمه، في التأريخ، حامداً ومصلياً.

(٤)

* نَقْعَةُ الصَّدْيَان، تأليف الشيخ الأمام العلاّمة، وحيد العصر، فريد الدهر، حجة العرب، لسان أهل الأدب، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني.
* قرأت جميع هذا الكتاب على مصنَّفه الشيخ الإمام العلاّمة، وحيد العصر، فريد الدهر، حجة العرب، لسان أهل الأدب، رضي الدين أبي الفضائل، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، في يوم الأربعَاء سابع جمادى الآخرة سنة خمسين وستمئة، بدجلة في السفينة، ظاهر بغداد.
* وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي.
* صحيح ذلك، وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى الحَسَنُ بْنُ محمد بن الحسن الصغاني، رَاشَ اللهُ جَنَاحَه ومحا جُنَاحه ويسّر نجاحه، حامداً ومصلياً.

(٥)

* (ورقة أخيرة لكتاب غير كامل في نسخته الموجودة بشهيد علي باشا).

* قرأتُ جميع هذا الكتاب (وهو فَعَالِ) على مؤلفه ومهذّبه، معارضاً بأصله الذي بخط يده الشيخ الإمام العلامة حجة العرب، لسان أهل الأدب. معتمد المحدّثين، فخر الحفّاظ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني حرسه الله في نفسه وأهله وأفَاضَ على العالَم فواضل فضله. وسمع الشيخ العالِمُ الفاضِلُ سعد الدين أبو عثمان سعد بن أحمد بن أحمد بن عبدالله الأندلسي ثم البيّاني النحوي؛ والسيد الفاضل العالم الأجل شَمْسُ الدِّيْن أبو جعفر محمد بن

الفقيه أبي عبد الله الحسين بن أبي الحسن علي بن نصر بن منصور بن فرقد؛ ومعين الدين أبو العباس أحمد بن أبي القاسم بن عبد الله الأوَاني. وصح وثبت في يوم الجمعة الخامس عشر من شهر جمادى الآخرة سنة خمسين وستمئة بالحريم الطاهري غربي مدينة السلام.

* وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي.

* صحيح ذلك، وكتب المتلجئ إلى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانِيّ، أفرعه الله شكر نعمته وتولاّه بفضله ورحمته، حامداً ومصلياً.

(٦)

- كتاب الانفِعَال، تأليف الشيخ السيد الإمام العلاّمة حجة العرب، لسان الأدب، الورع العابد، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، أعاده اللهُ إلى حرمه وآمنه وأعاد عليه من بركته ومنّه.
- قرأت جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا العلاّمة فريد الدهر، وحيد العصر لسان الأدب، حجة العرب رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانِيّ، أبْدَلَه اللهُ من السقام بالشفاء ومن الداء بالإبراء آمين، فسَمِعْ الفقيه الصالح الجليل بدر الدين أبو عبدالله محمد القاسم بن أحمد بن محمد بن أبي العباس الخَوْلاَنِيّ الأندلسيّ الإشْبِيْلِيّ في مجلس واحد. وسمع السيد الجليل العالم ضياء الدين أبو البركات مُحَمّد ولدُ شيخنا الإمام العلاّمة المسمع المؤلف، أكثره وَفَاتَه قليل من أوله، وصحّ في يوم الخميس الخامس من رجب سنة خمسين وستمئة بالحريم الطاهري، غربي بغداد.

- وكتب عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي عفا الله عنه.
- صحيح ذلك، وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانِيّ، أعاده الله إلى منى وعرفات وبدّل سيئاته حسنات، حامداً ومصلياً.

(٧)

- كتابُ تَرَاكِيْبِ لُغَاتِ العَرَب، جمعه الشيخ العلاّمة، وحيد العصر، فريد الدهر، حجة العرب، لسان الأدب، الملتجئ إلى حرم الله تعالى، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني.
- قرأت جميعَ هذا الكتاب على مصنّفه ومؤلفه الشيخ الإمام العلاّمة فريد الدهر وحيد العصر، حجة العرب لسان الأدب، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن العُمَرِيّ الصغاني الحنفي، عافاه الله وشفاه وصانه من الأعْلال والأوجاع، وحماه، معارضاً بالأصل الذي بخطه، ومنه كتبتُ، فسمعه ولده السيد العالم الفاضل أبو البركات محمد وصح في يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر الله الأحب رجب الفرد الذي من سنة خمسين وستمائة بالحريم الطاهري بمدينة السلام بالجانب الغربي.
- وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن التَّوْنِي الدمياطي، عفا الله عنه، في التاريخ.
- صحيح ذلك، وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانِيّ شفاه الله من ألم يُعَانِيْه، وأطلعه على غوامض الورع ومعانيه حامداً ومصلياً.

(٨)

- كتابُ الأضْدَادِ، تأليف الشيخ العلاّمة وحيد العصر، فريد الدهر، حجة العرب، لسان الأدب، الملتجئ إلى حرم الله تعالى، الحَسَنُ بن محمد بن الحسن الصغاني الحنفي اللغوي، أعاده الله إلى أشرف البقاع وأقبره منه أربع أذرع في ذراع.
- قرأتُ جميعَ هذا الكتاب على مصنِّفة ومهذّبه ومؤلفه ومرتّبه الشيخ العلاّمة فريد العصر، وحيد الدهر، حجة العرب، لسان الأدب، فخر

الحفّاظ، فارس المعاني والألفاظ، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، سلّمه الله وحماه، ونسخ ضعفه بمحكم قواه، فسمعه السيد العالم الفاضل الأديب البارع سعدُ الدين أبو عثمان سعد بن أحمد بن أحمد البيّاني النحوي المالكي، ملكه الله أزمة العلوم وزينه بأحسن العُلُوم. وصح ذلك في يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة خمسين وستمئة بالحريم الطاهري غربي مدينة السلام.

- وكتب عبد المؤمن بن خلف الدمياطي.
- صحيح ذلك، كتب المتلجئ إلى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانِيّ، جعل اللهُ عاقبته إلى صحة وصَلاَح وأعاده إلى طَيْبَة وصَلاَحٍ، حامداً ومصلياً.

(٩)

- كتاب فيه شَرْحُ السِّمْطِيَّة الصَّغَانِيَّة، المُرْتَجَل في شَرْحِ القِلاَدَةِ السِّمْطِيَّة فِي تَوْشِيْحِ الدُّرَيْدِيَّةِ، تأليف الشيخ الإمام علاّمة دَهْرِه، وفريد عصره، حجة العرب، لسان الأدب، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الصغاني الحنفي اللغوي.
- قرأتُ جميعَ هذا الكتاب على مؤلفه ومحرّره ومهذّبه ومحبّره وزَاصِع دُرره، معارضاً بأصله الذي بخطه، على الشيخ العلاّمة فريد عصره وحيد دهره، حجة العرب، لسان الأدب، رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، عافاه الله وشفاه وصانه من الأسقام، وحماه، في مجلسين: آخرهما يوم الأربعاء سابع عشر شعبان الذي من سنة خمسين وستمئة، بالحريم الطاهري غربي مدينة السلام بغداد.
- وكتب عبدُ المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي، عفا الله عنه حامداً ومصلياً.

- صحيح ذلك وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى الحَسَنُ بن محمد بن الحسن بن الحيدر الصغاني، عافاه الله وشفاه، حامداً ومصلياً.

(وبازاء هذه السماعة كتب الدمياطي فيما بعد)

تُوُفّي رضِي اللهُ عَنْهُ بَعْدَ قراءة هَذَا الكِتَاب عليه لَيْلَةَ يَوْمِ الجُمْعَة التاسع عشر من شعبان المذكور، بالحريم المذكور، وآنا آخر من قرأ عليه.

✧ ✧ ✧

وهناك سماعتان على الصغاني لتأليفين غير لغويين: واحد منهما للصغاني والآخر للخَطَّابِي، وأعتقد أن إيرادهما هنا لا يخلو من فائدة لأنهما يدلاّن كذلك على تلاميذه الذين استفادوا منه كذلك.

(١٠)

* سمع جميع هذا الكتاب، وهو مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية، على مصنفه الشيخ الإمام العالم الأوحد، رئيس الأصحاب الصدر الكبير المحترم قدوة الأمة وعمدة الأئمة، المتلجئ إلى حرم الله تعالى رضي الدين أبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني رضي الله عنه، بقراءة الفقيه الإمام الحافظ المتقن جمال الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن محمد البكري الشريشي السادة الفقهاء: برهان الدين إبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ المكناسي،[٣] وسعد الدين سعد بن أحمد بن أحمد بن عبدالله الحذامي البياني، [٤] ومحيي الدين أبو الحسن علي بن يحيى بن علي النميري الغرناطي، [٥] ورضي الدين سليمان بن يوسف بن محمد بن أبي حيان الملياني، [٦] وشهاب الدين أبو عبدالله محمد بن محمد بن بدر السبتي المالكي، [٧] وشمس الدين أبو عبدالله محمد بن ميمون بن علي الكومي، [٨] وعبدالله بن محمد بن أبي بكر الغساني الأندلسي المالكي، عفا الله عنه. في مجالس آخرها يوم الثلاثاء السابع والعشرون من جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وستمئة، فصح ذلك وثبت في منزل الشيخ المصنف من باب الأزج.

- وكتب عبدُالله بن محمد بن أبي بكر الغساني. والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامُه.
- صحيح ذلك وكتب الملتجئ إلى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، أحله الله أعلى محال أولي الفضل والحجي، وجعله علماً في الفضائل كالنجم في الدجى، حامداً ومصلياً [٤] .

(١١)

(وهذه سماعة كتاب مَعَالم السُّنَن للخَطّابِي)

... ووافق الفراغ منها عشية الخميس العشرين من صفر سنة عشر وستمئة بمسجد الشيخ ياسر بن بلال المحمدي بمدينة عدن عمرها الله بالصالحين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

هذا صحيح، وكتب الحسن بن محمد بن الحسن الصغَانِيّ، أمد الله بعمره وجعله أوحد عصره في التاريخ المذكور، والحمد لله على نعمائه والصلاة على جميع أنبيائه[٥] .

✧ ✧ ✧

وأما الغموض الذي انكشف لي وسوف ينكشف لكم بعد تتبع هذه السماعات فليس أمراً عادياً بل مهم جداً بالنسبة للصَّغَانِي. هو أن مترجمي الصغاني نسبوا إليه أمراً له صلة به ولا يُعتقد أن يحدث من عالم من كبار العلماء كالصغاني، فقالوا:"كان عنده مولود قد حُكِم فيه بموته وأنه قد مات في ذلك الوقت المُحَدَّد بدون علّة ولم يمرض قبل وفاته قَطُّ".

وهذه القصة كانت وما زالت سائدة عند مترجميه منذ قرون.

وقد علّلنا هذه الوقعة، إن كانت قد حدثت، في ضوء هذه السماعات ووصلنا بعد الدراسة المركز لها إلى حقيقة غير ما نجدها عند مترجميه.

[١] هل توفي الصغَانِيُّ فجأةً وبدون علّة ؟

من المعلوم أن الحسن بن محمد بن الحسن الصغانيّ قد توفي ببغداد ليلة الجمعة التاسعة عشرة من شعبان لسنة خمسين وستمئة للهجرة[٦] . وبعض مترجميه وأكثرهم من المتأخرين يجمعون على أنه قد مات "فجأةً" وسردوا في هذا الشأن خبراً عجيباً، وذلك بوساطة شرف الدين عبد المؤمن ابن خلف الدمياطي (ت ٧٠٥ هـ) الذي تلمّذ على الصغاني وقرأ كتبه عليه قبيل وفاته، فقالوا [٧] :

" قال الدمياطي: وكان معه (أي مع الصغاني) مَولُود، وقد حُكِم فيه بموته في وقت، وكان يترقّب ذلك الوقت، فحضر ذلك اليوم وهو معافى، قائم ليس به علّة. فعمل لأصحابه وتلاميذه طعاماً شكراً لله، وفارقناه وعديت الشطّ، فلقيني مَن أخبرني بموته، فقلت له: الساعةَ فارقته، فقال: والساعةَ وقع به الحِمَام فجاةً".

في غضون دراستي اللغوية الصغاني، كنت أتصفح مخطوطات الكتب والرسائل له وإذ نظرت إلى سماعات في أواخرها أو أوائلها، وقع نظري بالمصادفة على سماعة فيها كلمات تنمّ منها أن المسمع عليها تظهر فيه سمات الإسقام والعلل فاستوقفتني هذه السمات وجعل الشك يساورني في وقعة مشار إليها ضمن وفاة الصغاني. فأنعمت النظر في جميع هذه السماعات، ودهشت عندما رتبتُها حسب الترتيب الزمني بالنسبة للقراءة على الصغاني، رأيت أنها تشير بوضوح إلى أن المسمع عليه أي الصغاني كان مريضاً. ومرض مرض الموت قبل وفاته. وأما قصته المسرودة ضمن وفاته أي أنه مات "فجاءة وبدون علّة" فجعلت تتقلّص شيئاً فشيئاً في نظري، ويقوى الشك فيها عندما تخطيت خطوات متقدمة في دراسة هذه السماعات، وتلك في ضوء هذا الشك. وأخيراً انتهيتُ إلى أن قصة وفاة الصغاني " فجأة وبدون علّة" ليس فيها شيء من الحقيقة، فهاكم نتيجة دراستي:

ليس فيه شكّ أن الصغاني كان هنديَّ المولد وهنديَّ النزعة. وفضلاً عن ذلك فقط تجول في الهند نحو أربعين سنة وفي الهند كان الهندوكيون يعملون، منذ قرون غابرة مواليد (٨). ومن المعلوم أن هذه المواليد تشير إلى بعض حوادث مستقبلية لا بوضوح بل بإشارات غامضة ودلالات مبهمة. وليس المتعذّر على هذا، أن الصغاني قد أخذ المَولَد لبعض أغراضه حينما كان في الهند. ولكن إيراد هذا المَولد ضمن وفاته لا يتفق اتفاقاً تامّاً بحقائق وحوادث جرت مع الصغاني، والتي قد أثرت وأدت به أخيراً إلى الموت، وهذا لا يمكن الاعتقاد به من رجل عالم كبير مثل الصغاني.

نورد فيما يأتي حقائق وحوادث جرت له قبل رحيله إلي جوار ربه. ومن الطبيعي أن الصغاني كان في المدة الأخيرة من حياته حين دخل سنة خمسين وستمائة وفي تلك المدة الأخيرة كان عمره إذ ذاك ناهز عن ٧٤ سنة، وكان قد أنهكته الأسفار والتجوال التي قام بها إلى الهند والبلاد الإسلامية، فظهرت عليه ملامح الضعف والإندثار، لذلك نرى في يده رعشة في آخر عمره، كما تظهر هذه بكل وضوح مما كتبه من سماعات في آعلاه ومن نسخ للكتب التي انتسخها في هذه المدة.

ونضع أمامكم بعض إشارات مبنية على شواهد تنمّ عن صحة الصغاني في السنة الأخيرة من عمره، وذلك حسب تسلسل زمني، لتعرف، أيها القارئ. هل مات الصغاني فجأة وبدون علّة، أو خلاف ذلك؟.

وهذه حقيقة لا مراء فيها أن الصغاني كان معافى حتى ٢٣ محرم من سنة ٦٥٠هـ كما نستشفّ من سماعة كتابه " فَعَلاّن" ومن كلمات دعائية من تلميذه الدمياطي له (أنظر لوحة رقم١). ولكن أصابه شيء من المرض في أواخر ذلك الشهر، كما أشار الدمياطي إليه في سماعة قصيدة في شَكْوَى الدهر للصغاني، فدعا له بكلمات " عافاه الله وشفاه وصانه من الأسقام" (انظر لوحة رقم ٢). وظلّ

الصغاني مريضاً بضعة أيام أو أكثر ولكنه أصبح معافى فيما بعد عندما قرأ الدمياطي عليه كتاب يَفْعُول له، لأننا لم نر أية إشارة تشير إلى مرضه في هذه السماعة التي جرت عليه في مستهل جمادى الآخرة (انظر لوحة رقم ٣). ولكنه أحسّ، به في الأسبوع نفسه، وجعاً في أحد جناحَيْه، كما يشير إليه ما أثبته الصغاني في سماعة كتابه: نَفْعَة الصَّدْيَان، نحو: " راشَ اللهُ جناحَه ومحا جُنَاحَه ويسّر نجاحه" (أنظر لوحة رقم ٤). وتقبّل الله دعاءه، فبرئ من المرض في الأسبوع التالي، كما يبدو بالوضوح من كلمات سجّلها الصغاني على كتابه فَعَالِ:" أفرعه الله شكر نعمته وتولاه بفضله ورحمته" (اظر لوحة رقم ٥).

وظلّ على هذه الحالة الجيّدة حتى بداية الشهر التالي، أي رجب المرحب. ولكنه كان يتماثل للشفاء أحياناً وتنتكس صحته مرة أخرى كما أشار الدمياطي إليه في سماعته كتاب الانفِعَالِ، لأبي الفضائل، التي جرت في ٥ رجب، وكتب:" بدّله اللهُ من السقام بالشفاء ومن الداء بالإبراء" (انظر لوحة رقم ٦). ويبدو من السماعة التالية لكتاب تَرَاكِيب لُغَاتِ العَرَب، للصَّغَانِيّ التي حدثت في ١١ رجب، أنه لحقه مرض، وما برح به إلى أن اختاره الله إليه ويظهر من كلمات هذه السماعة أنه مرض في نفس الوقت لا بمرض واحد بل هجمت عليه أعلال وأسقام عديدة ، فبذلك دعا له الدمياطي:" عافاه الله وشفاهُ وصانه من الأعلال والأوجاع وحماهُ" (أنظر لوحة رقم ٧).

ومن الواضح أن الصغاني قد أنهكته في ذلك الوقت أمراض وأعلال وأوجاع لدرجة أنه شرع يدعو الله لشفائه من هذه الأعلال والآلام، كما دعا في توثيق السماعة السالفة الذكر، فقال:" شفاه الله من ألم يعانيه". وبعد هذه السماعة يبدو أن الصغاني بدأ يضعف شيئاً فشيئاً، ولم يستطع أن يقوم بعمل ولازم فراشه. ولكنه على رغم كل هذه الأمراض والعلل والآلام لم يضيع أية دقيقة من وقته فراح يسمع كتبَه، ربما مستلقياً على فراشه. وحينما قرأ الدمياطي عليه كتابه الأضْدَاد في ١٣ رجب كان الصغاني منهوكاً ضعيفاً، كما يبدُو من الكلمات التي سجّلها

الدمياطي في آخر الكتاب هكذا: سلّسه وحماه ونسخ ضعفَه بمحكم قواه". (انظر لوحة رقم ٨).

ويظهر أن الصغاني قد عاني من الأمراض والأسقام بما يرُي من كلمات استخدمها في سماعة كتاب الأضْدَاد، فدعا لنفسه:" جعل الهُ عاقبته إلى صحة وصَلاَح وأعاده إلى طيبة وصلاح".

وكان بودّ الدمياطي أن ينتهز هذه الفرصة فجدّ بانتساخ مؤلفات الصغاني وما كان لديه من كتب لغوية، ليلاً ونهاراً، وقرأها عليه كلما أتيحت له الفرصة فلزمه في بيته بالحريم الطاهري، غربي بغداد وجعل يُسرع في عمله لأنّه كان قد أحسّ من توعُّك صحة الصغاني وضعف قواه، أنه لن يبرأ من هذه الإعلال. في هذه المدة كتب الدمياطي عند الصغاني علماً كثيراً وسمع عنه في الوقت نفسه، من مؤلفاته قدر ما لم يسمعه من قبل، كما سمع كتباً أخرى لم نستطع معرفتها.

ومن البديهي أن صحة الصغاني بدأتْ تضعف يوماً بعد يوم، ولكنّه لم يترك، كما قلت أنفاً، سماعة كتبه، فقرأ الدمياطي عليه في ١٧ شعبان كتابه: شرح القِلاَدَةِ السِّمْطِيّة، ودعا له بكلمات:" عافاه الله وشفاه وصانه من الأسقام وحماه" (انظر لوحة رقم ٩). وأما الصغاني فدعا لنفسه بيد مرتعشة، كما تراه بالوضوح من خطه:" عافاه الله وشفاه"، في نفس المكان. وكانت هذه الكلمات آخر ما كتبه الصغاني أمام الدمياطي.

وإنه توفي ليلة الجمعة ١٩ شعبان وذلك بعد يَوْمَين من قراءة الدمياطي عليه. وهنا سجّل الدمياطي فيما بعد بإزاء هذه السماعة في المكان نفسه للكتاب المذكور آنفاً:

" توفي رضي الله عنه بعد قراءتي عليه هذا الكتاب ليلة يوم الجمعة التاسع عشر من شعبان المذكور، بالحريم المذكور، وآنا آخر من قرأ عليه".

ولم يكتب هنا ما ينسب إليه علماء عن وقعة غير عادية. ولو كانت هذه الوقعة قد حدثت للصغاني، حيث إنها كانت غير عادية في تلك البلاد، لكان الدمياطي سجّلها في هذا المكان أو على الأقلّ في مكان آخر ، لكنه لم يكتب ولم يشر إلي هذه الوقعة بأدنى إشارة لأنه رأى بأم عينه أن الصغاني قد مات نتيجة الأعلال والأمراض. ويبدو من هذا التعطّل عن العمل ليومين، أن الدمياطي لم يستطع قراءة الكتب على الصغاني، على رغم حرصه على هذا الانتفاع السريع. لعلّ الصغاني كان مريضاً، لا قدرة له على هذا الغرض أو كان في حالة مرض الموت ولم يقدر على سماعة كتبه.

ومن كتابات العلماء المعاصرين للصغاني وتلاميذه، التي استطاع لنا جمعها، لم نر أية إشارة إلى وفاة الصغاني " فجأة، وبدون علّة".

وفي ضوء ما سُقنا آنفاً من تعليلات للشهرين الأخيرين من حياة الصغاني، لا بدّ لنا أن نعترف ونصدّق ما قاله الصغاني في هذه السماعات، وما دعا الدمياطي لأستاذه، وما سجّله من توعُّك صحته وهجوم الآلام والأوجاع عليه، فلا مانع من التصديق بأن الصغاني كان مريضاً قبل وفاته، وضعُف يوماً بعد يوم بأمراضه، ولم يمُتْ فجأة، وبدون علّة، بل توفي وفاة طبيعية، نتيجة لتلك الأمراض والآلام التي هجمت عليه.

وأمام هذه التعليلات يستطيع كل قارئ أن يعرف قيمة ما قاله العلماء في وفاة الصغاني الفجائية وبدون علّة.

وفضلاً عن ذلك أمامنا ما قاله الدمياطي ضمن ترجمة الصغاني وما ترجم له في تراجم شيوخة[٩] فلم نر شيئاً فيها من هذا القول. فلا نعرف من أين أخذ

العلماء هذا الخبر وتتالى إيراده في تأليفاتهم حيث أن جميع مَن ترجموا للصغاني استقوا في هذا الشأن مما كتبها الدمياطي(*) .

[٢] مكانَةُ الصَّغَانِيِّ العِلْمِيَّة

أشرنا في البداية إلى أن هذه السماعات تشير كذلك إلى مكانة اجتماعية للعالِم الذي يسجّل هذه السماعات على ما يقرأ عليه من الكتب، وكما تشير السماعات كذلك إلى شخصيته العلمية، فنستطيع أن نعرف من خلال هذه السماعات ما كان عليه الناس والعلماء من صلة وثيقة بعلم الصغاني، فكانوا يعرفون عنه ويقدرونه لمكانته اللغوية والحديثية ومعرفته الواسعة في العلوم السائدة آنذاك، وأنهم أطنبوا في شأنه وقالوا: إنّه رجلٌ صالح، صدُوق، صمُوت عن فضول الكلام(١٠) وعَدّه معاصروه من أولياء الله الصالحين(١١). وكان الصغاني يشتاق دائماً لجوار كعبة الله ويلتجئ إليه، فدعا لنفسه:" الملتجئ إلى حرم الله تعالى"، مع اسمه أينما أثبته في كتبه أو سماعاته، وهو أول مَن دعا لنفسه بهذه الدعاء، وتابعه الفيروزابادي.

كان يحب علم الحديث حبّاً جما، ويستأثر في حصوله أينما حلّ وفي أي عهد من عمره ، فلذلك جمع لديه من علم ما لم يجمع لدى الآخرين، فقال مرة مفتخراً:

" قد سمعتُ من الحديث المسلسلة بمكة، حرسها الله تعالى، وبالهند واليمن وبغداد، ما ينيف على أربعمئة حديث، ولم يبلغني أحد اجتمع له هذا القدر من المسلسلات(١٢):

(*) أعتقد أن الله لم يصُن هذه المجموعة من كتب الصغاني بما عليه من سماعاته إلاّ لبُطلان هذه الفكرة المفادة لسنته.

الحمدُ لِلّهِ حَمْداً دَائِماً أبداً أعطانِي اللهُ ما لم يُعْطِه أحَدَاً"

وكان قد حصل مكانة في هذا العلم عظيمة مرموقة، فيذكر فيها نجاحه ومنجزاته فيما يأتي:

إذا احتبَيْت تجاه الركن بحدق في أفاضل الناس مِن شام ومِن يمَنِ
ذوُو محابر أعداد النجوم، ومَن قد آثر السفر المضني على الوطَنِ
اظلّ أنشدهم شعري، وأخبِرُهم بما سمعتُ من الآثار والسُنَنِ
موثقاً عدلَ أهليها، وأجْرَحُ مَن تكلّموا فيه في ماض من الزَّمَنِ
أروي الأحاديث عن ثبتٍ أخي ثقة، أقول: حدّثني شيخي وأخبرني
وأشبع القولَ في إيضاحِ مشكلها وحلّ معضلها، جرياً على السنن
خُطَّتْ على جبهة الأيام خالدةً تلك المكارمُ لاَقَعْبان مِن لَبَنِ

فلذلك وصفه معاصروه بـ: فخر الحُفَّاظ، وعمُدة المحدّثين، ومعتمد المحدِّثين، وفخر المحدِّثين والحُفّاظ [١٣].

٣. وهناك ناحية أخري لهذا العالم ذي النواحي العديدة من علمه، فإنه توغّل في علم اللغة ورقي فيه أعلى الدرجات حتى قيل: إنه مقدم أهل اللُّغة، وفن الأدب[١٤]. ولو أنه لم يكن من أهل اللغة وقضى معظم حياته في الهند، على الرغم من هذه كلها فإنه أستوعب علم اللغة فأحسن فيه حتى قيل له: حُجَّةُ العرب، ولسان أهل الأدب و حجة أهل الأدب[١٥]. وكان فارسَ المعاني والألفاظ[١٦]، وإمام اللّغة والنحو، ووصفه الناس حجة العرب في السند والهند واليمن[١٧]، كما نوهو بـ: لسان الأدب [١٨]. ولعلمه الواسع في اللغة جعله أصحابُ العلم: حامل لواء اللغة في زمانه[١٩] بل كان إليه المنتهى في اللغة[٢٠].

٤. كان ثقة الملوك والسلاطين[٢١]، كما نُوِّه بذي الرياستين [٢٢]. ورئيس الصدر[٢٣]، وهو أول مَن عُدِّلَ مِن العجم[٢٤] ولا نعرف عن الآخر في هذه القرون الغابرة[٢٥] .

٥. ووصفه معاصروه، وقالوا: فريد عصره ووقته، وحيد دهره، علامة الوقت، والزمن[٢٦]، من أفراد العلماء، وقُدْوَة الأمّة وعمدة الأئمة[٢٧]، وعدّوه العالم الأوحد[٢٨].

فلذلك قال الجندي: " وعلى الجملة فمحاسن الصغاني أكثر من أن تُحْصَى"[٢٩].

وقال ابن الفوطي:

فكانت من أفراد العلماء وأولياء الله الصالحين. وسار ذكره مسير الشمس في الآفاق، ودوّخ ما وراء النهر وخراسان واليمن والهند والحجاز والعراق[٣٠]

فكانت تُشَدّ إليه الرحال من سائر الأقطار، وسافر إليه طلاّب العلم من أقطار بعيدة، كما ترى أسماءهم في هذه السماعات، حتى من أقصى الأندلس[٣١].

وظلّ بابه مفتوحاً لتلاميذه، يدرسهم ويقرئهم، يسمعون منه، ويكتبون عنه حتى توفي،ولم يبخل بعلمه على أحد. حتى أنه راح يسمع كتبه مسافراً في النهر، وعلى الجملة فإن خصاله الحميدة ومآثرة الجمة جعلنه أوحدَ العصر، وشيخَ الوقت والزمن.

[٣] الصَّغَانِيُّ أو الصَّاغَانِيُّ

والأمر الآخر الذي استنتَجْنا في ضوء هذه السماعات ليس بأقلّ أهمية من الأول وهو: نسبة الصغاني ما هي؟ هل هي الصَّغَانِيُّ أو الصَّاغَانِيُّ؟

إن نسبة الصغاني نسبة صحيحة بلا مراء، وكذلك الصاغاني التي يصر بعضنا عليها. ليس الأمر هُنَا، ما هي النسبة الصحيحة وما هي الخطأ؟ ولكن الأمر الذي يهمنا هنا في الواقع هو أن الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانِي قد اختار لنفسه نسبة ما هي؟ ونحن على بينة وعندنا دلائل ناصعة أنه قد اختار لنفسه نسبة من دون ألف بعد الصاد، وأوردها لا بمكان واحد بل بجميع الأمكنة التي شاء القدر أن يكتب فيها اسمه، وهي

أمامنا أكثر من عشرين في كتبه وسماعاته (وترونها في اللوحات المنشورة مع المقال).

وقبل أن نأتي بأدلة ملموسة في هذا الصدد نسوق فيما يأتي ما أورد العلماء في نسبة الصاغاني، بإضافة الألف بعد الصاد، فيها فقالوا:

١- لأنها أوردها الصغاني بنفسه في قصيدته النونية وهي في شكوى الدهر.

٢- ولأن مرتضى الزبيدي أوردها في كتابه تاج العروس من جواهر القاموس.

٣- ولأن أكثر أهل زماننا قد اختاروا هذه النسبة للصغاني.

ولنقف، قبل أن نسوق دلائل في نسبة الصغاني الصحيحة بهذا الصدد، ونفكر في أمر يحتاج الانتباه قبل كلّ شيء في هذا المضمار. هو أن نسبة الصغاني إلى أي شيء هي؟ ومن المعلوم أن نسبته هذه ترجع إلى مدينة كانت تسمى آنئذ صَغَانِيَانْ وكانت هذه المدينة واقعة بين نهرين: آمودريا (OxusRiver) أي نهر آمو، ودريائي زامل (Zamil river) أي نهر زامل، الذي كان يقال له في القرون الوسطي نهر صغانيان كذلك[٣٢].

وهو معرَّب عن اسم فارسي: جَغَانِيَانْ، كما يقول الصغاني نفسه في معجمه: مجمع البحرين:" ومحمد بن إسحاق الصغاني، ومن ثقات المحدّثين، وغيره من الصَّغَانِيِّيْنَ، منسوب إلى بلد يسمى جَغَانِيَانْ... وقال البشاري: به ستة آلاف قرية، فأبدلت الجيم صاداً، كقولهم: الجص، واصله كَج، والصنج، وأصله جنك[٣٣].

لم ينسب إلى هذا البلد عالمً واحد بل هم كثيرون[٣٥]. ولجمعيهم لم تستعمل نسبة الصاغاني، بإضافة الألف بعد الصاد، بل هي بدون الألف فيها.

لا شك فيه أن نسبة الصاغاني قد وردت في قصيدة الصغاني، وهي صحيحة بلا مراء ولكنه أوردها مضطراً لضرورة شعرية لأن قافية القصيدة كانت محتاجة إلى التأسيس، فجاء الصغاني بها هناك، وهي مرّة واحدة

فقط. وبازاء هذا، كتب الصغاني نسبته بدون الألف مرات وعشرات، كما ترونها في السماعات المثبتة آنفاً. أكاد لا أفهم لماذا يصرُّ بعضنا على إيراد نسبة " الصاغاني" للحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانِي حيث إنه لم يخترها ولم يستعملها. كأنهم يجبروننا عليها لإيراد الصغاني لها مرة واحدة ولا ينظرون إلى ما أثبته من نسبته " الصغاني" من دون الألف بعد الصاد، في مواضع كثيرة لا في كتبه فحسب بل في سماعاته كذلك.

ليس من شك أن العلماء أوردوا هذه النسبة (الصاغاني) وتابعهم آخرون من زماننا، وليس بوسعنا أن نصحح لهم كلّهم، ولكن الأمر الذي يهمنا بهذه المناسبة أن نعرف أن النسبة التي كتبها الصغاني أو استعملها لنفسه ماذا كانت؟

ومن خلال هذه الأدلة والشَّواهد التي سُقناها آنفاً، وضح أن النسبة التي كتبها الحسن بن محمد بن الحسن الصَّغَانِيّ لنفسه كانت من دون ألف ولم يستعمل غيرها. وهل بقي مجال للشك في نسبة الصغاني بعد النظرة والتعمق في صور هذه السماعات؟ ليت قومي يعلمون.

✧ ✧✧

الحواشي والتعليقات

انظر لترجمته الموجزة مقدمة كتاب الانفعَال، له، ومقالة الدكتوراه لأحمد خان حول لغوية الصغاني، التي قدَّمها إلى جامعة بنجاب بلاهور (باكستان). ومن خلال هذه السماعات نستطيع أن نعرف بعض تلاميذ الدمياطي كذلك.

ولترجمته انظر: الأعلام (طبعة خامسة)، للزركلي: ٣١٨/٤.

مجلة مجمع اللُّغَة العربيّة بدمشق،عددها الرابع من مجلدها السادس والأربعين (أكتوبر ١٩٧١م).

فهرس المخطوطات العربية بمكتبة جستربيتي: مجلده الثاني، واللوحة:٥١.
الأعلام (ط خامسة)، للزركلي: مجلده الثاني، واللوحة: ٣٦١.
ويذكر بعض العلماء أنه مات في شهر رمضان من السنة نفسها، كما قالوا عنه أنه مات في ٢٦ شعبان من السنة المذكورة أعلاه. انظر إلى معجم المؤلفين، لكحالة: ٢٧٩/٣. اعتمد كحالة على الحَوَادِثِ الجَامِعَة، انظر إلى ابن الفُوَطِي؛ وكشف الظنون، لحاجي خليفة؛ وأحيل النظر كذلك إلى كتاب مجمع الآداب (إللام والميم)، لابن الفُوَطِي: ٧٥٦، وفيه التأريخ الصحيح.
أرى اضطراباً فيمن أورد هذه القصة من الدّمياطي. قال ابن شاكر الكتبى (توفي ٧٦٤ هـ): قال لي تقي الدين السبكي (المتوفي ٧٥٦هـ) في بُغْيَةِ الوُعَاةِ (ص ٢٣٧) بالقصة نفسها وبالكلمات نفسها، مباشرة من الدّمياطي، واختلافُ أعمارِهم أمامكم.
وأورد السيوطي هذه الكلمة:" المولُوْد"، وابن شاكر الكتبي:" وَلَد " وقيل "طَالِع مَوْلُود". ولكن جميعها غير صحيحة، فيما أعتقد؛ فهي: مَوْلَدً، ظرف زمان من وَلَدَ، لأن كلمة مستعملة بمقابلها بالهندية هي " زَائِجَهْ"، ويُعْمَل الزائجة في أي وقت من أوقات الحياة، ولكن مراعياً لولادة الرجل التي يطلبه. وكانت هذه الكلمة أي المولد مستعملة بهذه المراد في عصر الصَّغَاني، كذلك بل أعتقد من قبله، فأحيلُ نظر القارئ إلى كتاب مَجْمَعِ الآدَاب (منه كتاب اللاَّم والمِيمْ ٢٤٣-٢٤٤) حيث استخدم ابن الفُوَطِي (تلميذ الصَّغَاني) هذه الكلمة في المعنى نفسه ، وقال (في ترجمة أبي الفرج محمد بن فخر الدين محمد بن بركة بن أبي الفرج المَوصَلي البغدادي المنجم) " ... كان فاضلاً في فنه، رأيتهُ، وهو الذي عمل مَوْلَدي، ومَوْلَدَ أخي، وتوفي في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وستمائة".
قد شكّ السيِّد مصطفى حجازي (في مقدمة كتاب الشوارد للصَّغَانِي) في العبارة المذكور من الدمياطي، وقال:" إنها ركيكة، ثم شرحه بأن مراده–والله أعلم– ما كان يفعله المنجمون والمشتغلون بحساب النجوم والأوفاق لما يسمونه معرفة المطالع، يذهب المريض إلى أحدهم فيحسب طالعه ثم يتنبأ بمثل قوله:" هذا المريض يكون عليه القطع إلى أربعين يوماً– مثلاً– فإن لم يمت فيها فإنه

يبرأ، بإذن الله".فهذا معنى قوله:" وكان قد حُكِمَ فيه بموته كأنه يترقّب مدة القطع منه"، انتهى شرح الحجازي.

وأرى أن شرح العبارة لمصطفى حجازي من مراد الدمياطي، إن قالها.

٩. انظر معجم الشيوخ للدمياطي.(خطي) ترجمة الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، أبو الفضائل. ومجموعة الرسائل بخط الدمياطي باستنبول في مكتبة شهيد علي باشا، رقمها: ٢٧١٩. وفيها ورقة كتب فيها الدمياطي ترجمة موجزة للصغاني وجاء فيها بعدة أمور لم يأت بها بمكان آخر ضمن ترجمة الصغاني.

١٠. الدمياطي: معجم الشيوخ: ترجمة الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني.

١١. ابن الفوطي: مجمع الآداب، كتاب اللام والميم: ٧٥٦.

١٢. الصغاني: العباب الزاخر: (سلسل). و(١٢أ) ترجمة الصغاني في معجم الشيوخ للدمياطي.

١٣. ذُكِرت هذه الأوصاف للصغاني في سماعات كتبه أو في عناوين كتبه التي انتسخها الدمياطي لديه، كما ترونها في لوحاتٍ مذكورة أعلاه.

١٤. ابن الفوضي: الحوادث الجامعة: ٢٦٢.

١٥. ذكرها الدمياطي في بداية أو بآخر كتب الصَّغَانِي التي انتسخها، وكتاب يَفْعُول، كتاب الانفِعَال، وأسْمَاء الغَادَة، وكتاب الأضْدَاد، وتَعْزِيْزُ بَيْتَيْ الحَرِيْرِي.

١٦. ذكر في بداية الرسالة: مختصر في العروض.

١٧. ابن أهدل: تاريخ علماء اليمن: ق ٢١٩، الخَزْرَجِي: كتاب العِقْدِ الفَاخِر الحَسَن فِي طَبَقَاتِ اليمن: ق ٢٠٨.

١٨. بداية الكتب نفسها وآخرها التي ذكرتُ في الحاشية رقم ١٥.

١٩. السيوطي: بغية الوعاة: ٢٢٧.

٢٠. المكان نفسه.

٢١. ابن أهدل: المصدر نفسه: ٢١٩.

٢٢. مجموعة الرسائل للصَّغَاني، بخطِّ الدمياطي باستنبول، منها الورقة المذكورة.

٢٣. انظر سماعة لكتاب مشَارِقِ الأنْوَار، لوحة رقم ١٠.

٢٤. الورقة في أعلاه.

٢٥. نفس ما في الحاشية رقم ١٣.

٢٦. المكان نفسه.

٢٧. المكان نفسه.

٢٨. المكان نفسه.

٢٩. الجندي: كتاب السُّلُوك فِي طَبَقَاتِ العُلَمَاءِ والمُلُوك: ق ٢٠٨.

٣٠. ابن الفوطي: مجمع الآداب، كتاب الميم: ٧٠٦.

٣١. كما ترون من أسماء العلماء الذين سمعوا عليه كتبه.

٣٢. Strange, G.Le. The lands Of The Eastern Caliphate PP. 433-436 and 439.

٣٣. الصَّغَانِي: مجمع البحرين: (صغن) والتاج للزبيدي: (صغن).

٣٤. فمثلاً:

١- محمد بن إسحق الصَّغَانِي. ذكره الصغاني نفسه في مجمع البحرين: (صغن) كما ذكرت آنفاً.

٢- محمد بن أحمد بن محمد بن عمر بن سيعد الصغاني الأصل، أبو حامد (٧٩٠هـ-٨٥٨هـ)، انظر معجم المؤلفين، لكحالة: ١٣/٩.

مصادر البحث والدراسة

١. ابن أهدَل: تاريخُ علمَاءِ اليَمَن. (خطي) نسخته بالمتحف البريطاني، رقمها ١٣٤٥.

٢.جلال الدين السيوطي: بُغْيَةُ الوَعَاة في طبَقَاتِ اللُّغويين والنُّحَاة، القاهرة: مطابع السعادة، ١٣٢٦هـ.

٣. الجَنَدي، محمد بن يعقوب بن يوسف: كتاب السُّلُوك فِي طَبَقَاتِ العُلَمَاء والمُلُوك. (خطي) نسخته باستنبول في كوبرولو، رمها ١١٠٧.

٤. الخَزْرَجِي، علي بن الحسن: كتاب العِقْدِ الفَاخِرِ الحَسَن فِي طبَقَاتِ اليَمَن (

خطي) نسخته بالمتحف البريطاني، رقمها ٢٤٢٥.
٥.خير الدين الزركلي: الأعْلاَم، قاموس تراجمِ لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. ط خامسة.
٦. الزبيدى، مرتضي: تاجُ العُرُوس، ط القاهرة.
٧. ابن شاكر الكتبي: فَوَاتُ الوَفَيَات (الجزء الثاني فقط) بيروت: دار الثقافة، ١٩٧٣م.
٨. شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي: مُعْجَمُ الشُّيُوخ. (خطي) ونسخته بمكتبة الآثار القوميه بتونس، رقمه ٩١١.
٩. الصغاني: كتابُ الانفِعَال. تحقيق الدكتور أحمد خان. إسلام آباد: مَجْمَعُ البحُوثِ الإسْلاَمِية، ١٩٧٧م.
١٠. الصَّغَانِي: كتاب الشَّوَارِد (في اللغة). تحقيق مصطفي حجازي. القاهرة: المطابع الأميرية، ١٩٨٣م.
١١.الصغاني: مجمع البحرين. تصوير بمكتبة مجمع البحوث الإسلامية بإسلام آباد (باكستان).
١٢. الصغاني: العبابُ الزَّاخِر وَاللُّبَابِ الفَاخِر. (خطي) نسخته الكاملة بمكتبة آياصوفيا بإستنبول.
١٣. الصَّغاني: مجموعة الرسائل المنسوخة بيد الدمياطي بإستنبول، وبودليانه.
١٤.ابن الفوطي: الحَوَادِثُ الجَامِعَةُ وَالتَّجَارِبُ النَّافِعَةُ. بغداد: المكتبة العربية، ١٣٥١هـ.
١٥. ابن الفوطي، كتاب مجمع الآداب، منه كتاب اللاَّم والميم. طبع تباعاً في مجلة أورينتل كُالِج ميكَزِيْن (لاهور)، سنة ١٩٤٠م.
١٦. مجلة مجمع اللُّغَة العربية بدمشق. م ٤٦ ع ع (اكتوبر ١٩٧١م).
١٧. The Chester Beatty Library: A Handlist Of Arabic MSS. Prepared By A.J.Arberry. Dublin: E.Walker, 1955
١٨. G.Le Strange: The Lands Of The Eastern Caliphate. London: Frank Cross, 1966.

تلاميذ الصغاني الذين وردت أسماؤهم في السماعات المذكورة هنا:

- إبراهيم بن يحيى بن أبي حفاظ المكناسي، برهان الدين- لوحة عاشرة.
- (معجم المؤلفين ٢٩٩/٨) أبو بكر محمد بن أحمد علي بن القسطلاّني المكي الفقيه، قطب الدين- لوحة أولى وثانية.
- أحمد بن أبي القاسم بن عبدالله الأواني، معين الدين أبو العبّاس- لوحة خامسة.
- (معجم المؤلفين ٣١٠/٤) سعد بن أحمد بن عبدالله الخدامي الأندلسي البياني النحوي، سعد الدين أبو عثمان- لوحة خامسة وثامنة وعاشرة.
- سليمان بن يوسُف بن محمد بن أبي حيآن المليانى، رضي الدين- لوحة عاشرة.
- (معجم المؤلفين ١٩٧/٤) عبد المؤمن بن خلف الدمياطي التوني- لوحة أولى، ثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسابعة وثامنة وتاسعة.
- علي بن يحيى بن علي النميري الغرناطي، محيي الدين أبو الحسن- لوحة عاشرة.
- محمد ولد الصغاني، ضياء الدين أبو البركات- لوحة سادسة وسابعة.
- (معجم المؤلفين ٠٩/٩) محمد بن أحمد بن محمد البكري الشريشي، جمال الدين أبو بكر- لوحة عاشرة.
- محمد بن عبد الرحمن المكي- لوحة أولى.
- محمد بن الفقيه أبى عبد الله الحسين بن أبي الحسن علي بن منصور بن فرقد، شمس الدين أبو جعفر- لوحة خامسة.
- محمد بن عبد المنعم بن عبد الله بن أحمد الكتّاني القاهري، جمال الدين أبو عبدالله- لوحة أولى، ثانية.

- محمد بن محمد بن بدر السبتي المالكي، شهاب الدين أبو عبدالله- لوحة عاشرة.
- محمد بن ميمون بن علي الكومي، شمس الدين أبو عبدالله- لوحة عاشرة.
- محمد القاسم بن أحمد بن محمد بن أبي العباس الخولاني الأندلسي الإشبيلي، بدر الدين أبو عبدالله- لوحة سادسة.